The Semantic Lead in the Qura'anic Text and It's Effect on Guiding the Meaning

Dr.Hussian Auada Hashim
Dr. Hanaa Abdulradh
College of Education
University of Basrah

Abstract

The research deals with the eloquence of Quran and accuracy of Qura'anic text in the selection of vocabulary. Talking about it doesn't have an end, because Quran Language is something miracle, defied what Arab excelled in it. This research deals with part of this subject, taking the aspect of Qua'anic accuracy which is the delay and submission, this is called the semantic lead. The old scholars talked and spoke about it. The research explained some of the semantic suggestions results from delay and submissions, enlightened by the formers views and adding what we can add.

السبق الدلالي في النص القرآني وأثره في توجيه المعنى

د . حسين عودة هاشم / د. هناء عبد الرضا
كلية التربية /قسم اللغة العربية
جامعة البصرة

الملخص :

أن الحديث عن بلاغة القرآن في اختيار مفرداته وترتيبها حديث لا ينتهي ، لكون القرآن الكريم نزل معجزاً بلغته متحدياً العرب في ما برعوا فيه ، وهو اللغة وما بحثنا هذا إلا جزء من ذلك الحديث متخذاً جانباً من جوانب الدقة القرآنية ألا وهو جانب التقديم والتأخير وقد آثر البحث أن يطلق على هذه الظاهرة اسم السبق الدلالي وقد تحدث العلماء القدامى فيه وفي أماكن مختلفة فأصحاب النحو توقفوا عنده إلا أنهم توقفوا عند ضوابط التقديم والتأخير الرتبي مع بعض الالتفاتات الدلالية كما عند سيبويه والبحث لم يتوقف عند هذا النوع من التقديم والتأخير وإنما توقف عند نوع آخر من أنواع التقديم والتأخير المعنوي أي الترتيب بين مفردات النص القرآني بما يتلاءم والسياق الذي ترد فيه سواء ما تقدم منها في سياق ما وآخر في سياق آخر وهو ما التزم البحث بإبرازه فضلاً عن التقديم الذي ليس له نظير وإنما جاء متناسباً والحدث الذي يريد النص القرآني بيانه وجاء متسقاً والواقع الخارجي المتعارف وقد بين البحث بعضاً منها مبرزاً من خلال تلك النماذج بعض الإيحاءات الدلالية المتأتية من وراء ذلك التقديم والتأخير مستنيراً بآراء السابقين مضيفاً إليها ما استطعنا استنباطه من النص ، راجيان من الله التوفيق وحسبنا أنا سعينا .

الباحثان

المقدمـــــة :

يتعلق هذا النوع من التقديم والتأخير في الترتيب بين المفردات، وليس له علاقة بالتقديم والتأخير الرتبي الذي يتعلق بالجانب النحوي، إذ كثيرا ما نجد النص القرآني يؤثر تقديم مفردة على أخرى في سياق معين ثم يعمد إلى تأخيرها في سياق آخر ولما كان الأمر لا يتعلق بالنحو وإنما بالمعنى، آثر البحث إن يطلق على هذا النوع من الترتيب في المفرد ات بالتقديم والتأخير المعنوي لأن التقديم والتأخير جاء لتلبية المعنى المراد وحتى لا يكون كلامنا مجرد تخرصات سوف نعمد إلى مجموعة من الأمثلة القرآنية مبينين من خلالها الأثر الدلالي الذي يتركه تقديم أو تأخير مفردة ما على أخرى ومن ذلك قوله تعالى ((**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**))[1] فالله سبحانه وتعالى في هذا النص ، لم يترك قسما من أقسام الهيآت حتى أتى به ، فقد ذكر الأحوال كلها التي يكون عليها العبد ابتداء من القيام وانتهاء بالنوم على الجنب، إلا أننا نجد في سورة يونس إنه سبحانه جعل هذا الترتيب معكوسا فابتدأ من الجنب وانتهى بالقعود إذ قال تعالى((**وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَ ا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**))[2] ولا بد من أن وراء هذا التقديم والتأخير دلالة مراده فقيل إنه في آل عمران قدم القيام أولا ثم القعود ثم على الجنب لكون الذكر يجب فيه القيام لأن المراد به الصلاة والله اعلم، والقيام واجب فيها للمستطيع، ثم يأتي بعده القعود عند العجز عن القيام ، ثم الاضطجاع عند العجز عن الاثنين (القيام والقعود). أما في سورة يونس فالضر الذي ذكر أولا يوجب تقديم الاضطجاع أولا ثم إذا زال بعض الضر الذي أقعد المضطجع وإذا زال كل الضر قام القاعد فدعا لتتم الصحة وتكمل القوة ويحصل التصرف [3] ،واي إيجاز هذا وأي دقة بعد هذه الدقة ويمكننا أن نضيف إلى ما قيل من أن الله تعالى خاطب في (آل عمران) الإنسان وهو على طبعه السليم ولكون الإنسان يبدأ يومه بالحركة وينتهي إلى النوم فوصف الله هؤلاء الناس أنهم يذكرونه على كل حال ابتداء من قيامهم للكسب وعند قعودهم للراحة وعند خلودهم إلى فراشهم فهم يذكرون الله في كل حال ولذلك استعمل الواو الدالة على الجمع المطلق أما

في سورة(يونس) فلما قدم الضر بدأ بالاضطجاع ثم انتهى بالقيام لما تقدم ذكره وكذلك انه بدأ بأشد حالات الضر التي تردي بالإنسان إلى الفراش ثم تدرج إلى القعود ثم القيام وهو تدرج منطقي يتماشى والواقع المعيش إلا انه استعمل مع هذا التقسيم (أو) للإشارة إلى أن هذه الأوصاف ليست أوصافا ثابتة كما هي في سورة (آل عمران) لهؤلاء الموصوفين وإنما هي عارضة تتعلق بالحال التي عليها ففي (آل عمران) السياق فيه إشارة إلى حتمية ذكر الله في كل الأحوال كما هو شأن هؤلاء الموصوفين وفي سورة (يونس)أشار إلى أن الإنسان متعلق بربه في حالة الضر أكثر من حالة الصحة لذلك فهو يدعوه في الأحوال والهيآت كلها لان الله وحده القادر على أن يرجعه سيرته الأولى التي يريدها وهي القيام وقيل انه استعمل (أو) في سورة يونس لبيان اختلاف اثر الضر فمنه ما يضر الإنسان فيصرعه من أول صدمة وهو الذي بدأ به ومنه ما يقعده ومنه ما يأتي صاحبه قائما ولا يبلغ به شيئا من هذه الحالات والدعاء عند أول مس الضر فان الضر والجزع عند الصدمة الأولى فوجب العدول عن الواو إلى(أو) لتوخي الصدق في الخبر والكلام على ذلك موصوف بالائتلاف وحسن النسق[٤]

–ومما جاء في القرآن الكريم أيضا مقدما في مكان ومؤخرا في مكان آخر كلمتي (البشير والنذير) فمما جاء فيه البشارة مقدمة على الإنذار قوله تعالى((**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**))[٥] وقوله تعالى ((**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً**))[٦] وقوله تعالى((**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً**))[٧] وقوله تعالى ((**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً**))[٨] ففي هذه الآية وآيات مثلها قدم البشارة على الإنذار إلا انه ورد العكس في آيات أخ رى فقدم الإنذار على البشارة (ولعل الحكمة انه إذا كان الحديث عن هداية الإنسان استلزم تقديم الإنذار لأنه الأقوى أثرا في البشر في حين إذا جرى الحديث عن شخص الرسول تقدمت البشارة لل دلالة على انه بعث رحمة للعالمين))[٩] والبحث يتفق والسيد المدرسي فضلا عن ذلك أن ا لقرآن الكريم يريد أن يعلمنا منهجين في الدعوة :المنهج الأول وهو منهج التبشير بمعنى البدء بلين ورقة والابتعاد عن التسلط وهذا هو أسلوب الرسول الكريم ولذلك استلزم تقديم البشارة عند الحديث عنه ووصفه دائما بكونه لينا سهلا أما المنهج الثاني في الدعوة: وهو منهج الإنذار وهو يأتي بعد المنهج

الأول في الترتيب ولذلك عبر عند الحديث عن هداية الانسان دون ذكر الرسول بتقديم الإنذار على البشارة ومن ذلك قوله تعالى ((**قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً**))[١٠] وقوله تعالى((**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِ لاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**))[١١] وقوله تعالى((**أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ**)) [١٢]

ومن السياقات الأخرى التي قدم فيها اللفظ على غيره لغاية دلالية قوله تعالى((**الْحَمْدُ للّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ**))[١٣]

قيل انه قدم الظلمات على النور لأنه خلق الظلمة قبل النور وكذلك خلق السماوات قبل الأرض[١٤] فصاحب الرأي هنا نظر إلى النص نظرة فلسفية وعلل التقديم على اعتبار أصل المخلوق أيهما أول وهذا علم لا يعلمه إلا الله لأنه خالقهما وربما يكون هذا الرأي صحيحا ولكل باحث رأيه ،أما البحث فيرئي انه قدم الظلمات على النور إذا ما حملناهما على المعنى الحقيقي و قلنا هما الليل والنهار أو حملناهما على المعنى المجازي وقلنا هما الجنة والنار آو الجهل والعلم[١٥] فالإنسان يولد جاهلا خال من المعارف ثم يستنير بنور العلم وذلك يشمل الإيمان وعدمه لأن الإيمان علم يسبقه عدم العلم وعلى ذلك يكون تقديم الظلمات على النور تقديما منطقيا طبيعيا جاء ليشعرنا بفضل الله تعالى علينا ولذلك جاء النص القرآني واصفا الكتاب بالنور فهو الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور وهو القرآن الكريم ثم انظر إلى براعة النص القرآني في ترتيب الفاظه ذلك الترتيب الذي يتفق مع الواقع الخارجي ومع الطبيعة الإنسانية التي خلق الله عليها الإنسان فهو ليس مجرد ترتيب لفظي يراد منه إيجاد انسجام موسيقي أو تلاؤم الفاصلة كما يقال فالقارئ لسورة المدثر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر يقف منبهرا أمامها مرتجفا من وقعها متصاغرا أمام نظمها ومعانيها ،ولسنا هنا بصدد دراسة السورة كاملة وإنما سنقف على ما يخصنا منها في هذا المبحث ألا وهو ترتيب المفردات قال تعالى((**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرفَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَفَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ**))[١٦] فالقارئ والسامع لهذه الآيات ليقف منبهرا –كما قلنا– لما حوت من معان ولما فيها من موسيقى تجعل النفس تهتز

بل تنجذب إليها وذلك لما فيها من اختيار للمفردات وترتيب لها وتكرار لحرف (الراء) (المكرر) في نفسه عند لفظه فضلا عن تكراره على مدار الآيتين إشارة إلى عدم استقرار من حكيت عنه الآيتان الذي ظل متر ددا لا يعرف أهو كلام بشر أم لا حتى دفعته العصبية إلى القول انه سحر يؤثر و((التفكير معروف والتقدير عن تفكير نظم معان وأوصاف في الذهن بالتقديم والتأخير والوضع والرفع لاستنتاج غرض مطلوب))[١٧] نجد أن الآية قدمت (فكر)على(قدر)مع أنهما على صيغة واحدة وهذ ا دليل عل‌ى أن التفكير يسبق التقدير وان ألإنسان يؤخذ بما قدر لا بما فكر لذلك قال (فقتل كيف قدر) ولم يقل فقتل كيف فكر لكون التقدير النتيجة النهائية لعملية التفكير فالتقدير التطبيق الحقيقي على الواقع لعملية التفكير ثم انظر إلى العمليات التي جاءت بعد عمليتي التفكير و التقدير فهو انتقل بعد ذلك إلى الحواس فقال (ثم نظر) ثم أتى بعد ذلك العبوس والبسر التي أدت إلى الإدبار والاستكبار التي كانت هي نتيجة التقدير الخاطئ الذي قتل فيه ومن النماذج الأخرى التي وردت في مكانين حكم السياق على تقديم مفردة ما في مكان وتأخيرها في مكان آخر قوله تعالى ((**قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**))[١٨] ففي هذا النص قدم (الإخفاء على الإبداء) في حين أننا نجد في سورة أخرى وآية أخرى قدم (الإبداء على الإخفاء) قال تعالى ((**لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**))[١٩] والناظر لهذين النصين يجد انهما من الناحية القواعدية يتألفان من بنية قواعدية واحدة وهي :

ان الشرطية +فعل +ما +جار ومجرور +حرف عطف +معطوف +فعل الجواب(مضارع في الحالتين)وهذا يعني نحويا إنهما يحملان نفسها القوة التركيبية وانه لا خلاف بينهما إلا أن المستوى الدلالي الذي ينظر إلى ابعد من ذلك يرى خلاف ذلك فيرى في تقديم الإخفاء في موضع وتأخيره في موضع آخر بعدا دلاليا وان هناك سببا دفع بالسياق إلى إيثار هذا التقديم والتأخير وهذا ما التفت إليه المفسرون فقيل انه لما كان الأنسب بحال العلم أن يتعلق بالمخفي

قدم الإخفاء في حين أن الحساب فالأنسب له أن يتعلق بالبادي الظاهر قدم ذكر الإخفاء في هذه الآية (آل عمران)على ذكر الإبداء وجرى بالعكس منه في آية البقرة[٢٠]

– ثم انظر إلى براعة القرآن الكريم وكيف يجعل ما كان ممنوعا في الجاهلية أصلا متعارفا فقد قدم ذكر الذكر على الأنثى في قوله تعالى ((**يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**))[٢١] ففي هذا التعبير جعل حصة المرأة وكأنها هي الأصل وهي المتعارف عليها وهي التي يحمل عليها حصة الرجل وفي ذلك إشعار بإبطال ما كانت عليه الجاهلية من منع توريث النساء ولذلك لم يقل (للأنثى نصف حظ الذكر)وعلى ذلك لا يفيد المعنى ولا يلتئم السياق معه[٢٢] وبعد ذلك ننتقل إلى قوله تعالى ((**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِ كَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**))[٢٣] فالنص قدم المودة على الرحمة ويبدو أن سبب التقديم هو أن الرحمة اشمل من المودة أو أنها نتيجة لها فالزوجان اللذان لا يعرف احدهما الآخر حتى لحظة الزواج يندمجان معا حتى يصبحا كأنهما روح واحدة تقمصت بدنين فهذه الصلة التي يمن الله تعالى بها على الزوجين لا بد من أن تتعدى المودة المادية القائمة على أساس المصالح المشتركة والخدمات المتبادلة لتصبح صلة روحية يفكر كل طرف في عطائه للآخر، قبل أن يفكر فيما يأخذه وقد يصل ح تى التضحية في النفس .فينطلق التقاء الزوجين من أرض الشهوة الجنسية القائمة على إشباع الحاجات المادية المختلفة ليتعداها حتى يصبح حبا عميقا يقوم على أساس الإيثار والعطاء ويصل حتى الفداء والتضحية وهكذا تكون العلاقة في البداية (المودة) ولكنها لا تلبث حتى تصبح رحمة[٢٤] ومما جاء فيه تقديم مفردة على أخرى قوله تعالى ((**وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**))[٢٥] فقد قدم الافتراق على الاختلاف، وقد سأل احد كيف قدم الافتراق ع لى الاختلاف أو ليس ا لافتراق نتيجة من نتائج الاختلاف والجواب عكس ذلك تماما فيقال إن الافتراق هو كالمقدمة المؤدية إلى الاختلاف وذلك ((لان القوم مهما كانوا مجتمعين متواصلين اتصلت عقائدهم بعضهم ببعض واتحدت بالتماس والتفاعل وحفظهم ذلك من الاختلاف فإذا تفرقوا أو انقطع بعضهم عن بعض أدى ذلك إلى اختلاف المشارب والمسالك ولم يلبثو ا حتى تستقل أفكارهم وآراؤهم بعضها عن بعض وبرز

فيهم التفرقة وانشقت عصا الوحدة فكأنه تعالى يقول ((ولا تكونوا كالذين تفرقوا بالأبدان أولا وخرجوا من الجماعة وأقصاهم ذلك إلى اختلاف العقائد والآراء))[٢٦] وبعد ذلك ننتقل إلى نص كثر الحديث فيه وفي علة التقديم فيه بين مفردتين نقرؤهما في كل صلاة ، ألا وهما لفظتا الرحمن والرحيم في البسملة وفي سورة الفاتحة((**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ {١} الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {٢} الرَّحْمــنِ الرَّحِيمِ{٣} مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**))**{٤}**فقيل انه قدم الرحمن على الرحيم لكون الأولى تتعلق بالدنيا والثانية تتعلق بالآخرة أو لأن الأولى عامة والأخرى خاصة بالمؤمنين وقيل إن الرحمن ابلغ من الرحيم لان الزيادة في المبنى زيادة في المعنى وقيل إن (فعيل)تدل على الثبوت و(فعال) تدل على التجدد[٢٧] والملاحظ على ما قيل في تقديم الرحمن على الرحيم من أقوال العلماء أنه م يؤكدون اختصاص احدهما للدنيا والأ خرى للآخرة وتأكيدهم على معنى المبالغة فيها ، لكن الناظر في هاتين المفردتين وبهذه الصيغتين يجد أن فيهما امتدادا زمنيا لايمكن فيه فصل الأولى عن الثانية فهما يكونان خطا مستقيما يبدأ بنقطة وينتهي بنقطة لذلك لم يكتف سبحانه بواحدة منها في التركيب فلو اكتفى بأحدهما فربما يدخل الوهم إلى السامع ويبقى المتلقي مستفهما هل الرحمة تخص الدنيا أو الآخرة ؟ وهل الرحمة سواء في الدنيا والآخرة أو أنها منقطعة في الآخرة ؟ ولكن لما أتى بهذين الصيغتين (رحمان ورحيم) علم أن الرحمة متصلة زمانا في الدنيا والآخرة وكذلك في المنطقة الوسطى بين الدنيا والآخرة وهي البرزخ ، فكأن المعنى أن رحمة الله متصلة زمانيا في الأحوال والأماكن والأزمان كلها،فضلا عن ذلك أن صيغة (رحمان)كانت أحق بالتقديم وهي أولى بالزمان الدنيوي لأن الإنسان في الدنيا ما زال يعمل السيئات وهو بحاجة إلى رحمة الله ولطفه التي لولاها لما تمكن الإنسان من المواصلة هذا من جهة الزيادة في المبنى زيادة في المعنى كما أن وجود (الألف) في هذه الصيغة أعطاها امتدادا زمانيا فضلا عن أن ارتفاع الألف بالنطق دليل على أن الرحمة نازلة من الأعلى إلى الأدنى أما وجود الياء في الرحيم فيجعلها تتعلق بحياة البرزخ لأنهما حياتان غير ظاهرتين للإنسان فحياة القبر (البرزخ) حياة مجهولة تحتية وكذلك الآخرة فليس للإنسان صورة حقيقية عنها في حين الدنيا واضحة مرئية فضلا عن أن الياء بانكسارها تدل على أن الأشياء نازلة إليها مستقرة فيها لأن الأشياء تستقر دائما في الأماكن السفلية والياء تعد سفلية قياسا إلى الألف ولكأن في اللفظ إشارة إلى أن الأمور كلها لله

بدء وانتهاء وبعد ذلك ننتقل الى نص آخر لنستجلي فيه الدقة القرآنية في ترتيب المفردات قال تعالى ((**لاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**))[٢٨] ففي قوله إن السمع والبصر والفؤاد دليل على أن العلوم مستفادة من الحواس ومن العقول والنص القرآني بدأ بالسمع ثم تلاه البصر فالفؤاد ثم جاء باسم الإشارة(أولئك) للإشارة إلى أن السمع والبصر والفؤاد هي وسائل تحصيل العلوم [٢٩] وان أول وسيلة للتحصيل هي السمع وهي مقدمة على البصر لأنها الحاسة التي لا يمكن الاستغناء عنها ومن دونها لا يمكن تحصيل العلوم وبوس اطتها يمكن تحصيل أي علم و بتفاصيله كلها ثم يأتي البصر ليعزز هذه الحاسة ويؤكد حصول المعرفة إلا انه يمكن تحصيل العلوم من دون بصر عن طريق السمع إلا أن المعرفة قد تكون ناقصة ثم يأتي الفؤاد الذي هو مثل المستودع لهذه النافذة والمسؤول عن تحليل المعارف المتأتية من الس مع والبصر ولذلك لما أراد النص القراني الإخبار عن الذين لا يستجيبون للدعوة قدم القلوب على السمع والبصر فقال((**خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ**))[٣٠] وقدم القلوب على غيرها لان الآية تقرير لانعدام الإيمان في قلوبهم فناسب تقديم القلوب لأنها محل الإيمان الذي لا يتحصل إلا عن طريق الحواس شأنه شأن أي علم من العلوم المكتسبة [٣١] ومما آثر فيه السياق التقديم على التأخير للسبق الزماني والمكاني قوله تعالى ((**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**))[٣٢] فقدم لفظ الملائكة لأنها أسبق بالايجاد[٣٣] ومنه كذلك قوله تعالى((**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً**))[٣٤] الازواج أسبق بالزمان من البنات [٣٥] بالإيجاد[٣٦] في حين قدم السنة على النوم في قوله تعالى ((**اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**))[٣٧] **ومما قدم فيه** اللفظ للغلبة والكثرة((**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّ هِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ**

الْمُؤْمِنِينَ))[٣٨] فالنص القرآني قدم المرأة على الرجل في عملية الزنى لأن الزنى في النساء أكثر وان المرأة هي المادة التي نشأت منها الخيانة فلو لم تطمع الرجل وتمكنه منها لم يتمكن منها فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدأ بذكرها [٣٩] في حين قدم الرجل على المرأة في نص آخر قال تعالى **((الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ))**[٤٠] فقدم الرجل هنا لاختلاف السياق فالسياق هنا يريد النكاح وليس الزنا ولكون النكاح يكون الرجل فيه هو الأصل لأنه هو الذي يبدأ الطلب[٤١] لما كان فعل السرقة هو الغالب عند الذكور قدم الذكر على المرأة [٤٢] إذ قال تعالى **((وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))**[٤٣]

الخاتمـــــة:

-وجد البحث أن كل مفردة في القرآن الكريم موضوعة موضعا لا يمكن إبداله .

-جميع الألفاظ المقدمة في سياق ما – محل الدراسة– ثم أخرت في سياق آخر.

جاءت موافقة لسياق الحدث الذي تخبر عنه الآية إذ أنها تأتي موحية بكل التفاصيل المرادة كما في حالة ذكر الهيآت التي يكون عليها الإنسان مرة على وضعها الطبيعي ابتداء من القيام وانتهاء بالاضطجاع على الجنب وغيرها من الآيات التي درسناها

– وجد البحث أن النص القرآني يقدم الإنذار على البشارة إذا كان الحديث عن هداية الإنسان أو دعوته إلى الهداية لأن الإنذار يكون أكثر تأثيرا في حين عندما يجري الحديث عن شخص الرسول تقدمت البشارة للدلالة على انه بعث رحمة للعالمين كما أن في هذا التقديم والتأخير إشارة إلى منهجين يجب إتباعهما في الدعوة وهو منهج التبشير ومنهج الإنذار ويجب تقديم منهج التبشير على الإنذار.

– وجد البحث أن النص القرآني قدم الظلمات على النور جاء متساوقا مع الواقع الخارجي المحسوس لان الإنسان ولد جاهلا ثم يتعلم بعد ذلك وكذلك في ذلك التقديم إشارة إلى فضل الله علينا لأننا كنا في ظلمة فأنار علينا حياتنا بالضياء الحقيقي أو بالمعرفة إذا ما حملنا الظلمات والنور على المجاز.

- كما وجد البحث انه قدم التفكير على التقدير للإشارة إلى أن التفكير يسبق التقدير وان الله تعالى لا يحاسب على التفكير وإنما على التقدير لكون التقدير النتيجة النهائية للتفكير
- قد يشترك نصان أو أكثر في بنية قواعدية واحدة إلا أن الدلالة فيهما مختلفة لكون ترتيب المفردات فيهما هو المختلف مما أدى إلى اختلاف الدلالة المرادة فيهما.
- وقد وردت في البحث مجموعة من النتائج الأخرى لم نذكرها هنا

الهوامش:

١- آل عمران ١٩١

٢- يونس

٣- ينظر تحرير التحبير ١٧٤وينظر تفسير العياشي ٢١١/١

٤- ينظر تحرير التحبير

٥- سبأ ٢٨

٦- الاحزاب ٤٥

٧- فاطر ٢٤

٨- الفرقان ٥٦ ومثلهاالاسراء ١٠٥ والاحزاب ٤٥ والفتح٨

٩- من هدى القرآن٤٦٩/١٠

١٠- الكهف .٢

١١-الأعراف ١٨٨

١٢-هود ٢

١٣-الانعام ١

١٤-ينظر مجمع البيان ٤٢٣/٤

١٥-ينظر مقتنيات الدرروملتقطات الثمر ،السيد علي الحائري ١٢٩/٤

١٦ - المدثر ١٧-٢٨

١٧ - الميزان ١٦٨/٢٠.

١٨- آل عمران ٢٩

١٩- البقرة ٢٨٤

٢٠- ينظر الميزان ١٥٥/٣

٢١- النساء .١١

٢٢- ينظر الميزان ٢٠٧/٤ وينظر آلاء الرحمن ٢٦١./٢

٢٣- الروم ٢١

٢٤- ينظر من هدى القرآن المدرسي ٣٨/١٠-٣٩

٢٥- آل عمران ١٠٥.

٢٦- الميزان ٣٧٣/٤.

٢٧- ينظر البيضاوي ١٩/١ وينظر البيان في تفسير القرآن السيد الخوئي والتفسير القيم ابن القيم ٣٣ ولمسات بيانية، د ، فاضل السامرائي .٢٧

٢٨ - الاسراء ٣٦

٢٩ - البحر المحيط ٣٦/٦

٣٠- البقرة

٣١- ينظر مراعاة الاسبق في القرآن الكريم ،احسان التميمي ،مجلة السبيل ،العدد ٨ لسنة٢٠٠٨ ص٧٧

٣٢- الحج ٧٥

٣٣- ينظر البرهان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي٢٣٩/٣

٣٤- لاحزاب٥٩

٣٥- ينظر مفتاح السعادة ٤٠٣/٣

٣٦- ينظر الإتقان السيوطي ٣٨/٣ و التقديم والتأخير في القرآن الكريم ،د، خلدون سعيد ١٩٩

٣٧- البقرة ٢٥٥

٣٨- النور ٢

٣٩- المائدة ٣٨

٤٠- ينظر البرهان ٣/٢٦٠والكشاف ٣/١٦٨

٤١- النور ٢

٤٢- ينظر الكشاف ٣/١٦٨

٤٣- المائدة ٣٨

المصـــادر:

- آلاء الرحمن في تفسير القرآن،الشيخ محمد جواد البلاغي ،الإمام الشيخ محمد جواد البلاغي ، تحقيق قسم الدراسات ،مؤسسة البعثة ،مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ط١ / ١٣٤٠ هـ

- الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم المكتبة العصرية،بيروت ،١٩٨٧

- البرهان في علوم القرآن الزركشي ،بدرالدين محمد بن عبد الله ،تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم، دار المعرفة ط٢.

- البيان في تفسير القرآن ، ابو القاسم السيد الخوئي ،مطبعة العمال المركزية ،بغداد ١٩٨٩

- تحرير التحبيرفي صناعة الشعر وبيان اعجاز القرآن ،ابن ابي الاصبع المصري ،تقديم وتحقيق د، حفني محمد شرف ، القاهرة ١٣٨٣

- تفسير البحر المحيط ،محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي،دار الفكر بيروت،ط ٢ ١٩٧٨

- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،ناصر الدين بن سعيد بن عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ،مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، دار الجيل ،بيروت (د،ت)

- تفسير العياشي ، الشيخ ابي النضر محمد بن مسعود العياشي ،تحقيق الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ،قم ط١، ١٤٢١ه- التفسير القيم ابن القيم

- التقديم والتأخير في القرآن الكريم ،د، خلدون سعيد ١٩٩٩
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،أبي القاسم جار الله الزمخشري ،دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ،د ،فاضل السامرائي ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ط١/١٩٩٩
- مجمع البيان في تفسير القرآن ،أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دارا حياء التراث العربي ، بيروت،١٣٧٩ه ق
- مراعاة الأسبق في القرآن الكريم ،إحسان التميمي ،مجلة السبيل ،العدد٨ لسنة ٢٠٠٨
- مفتاح السعادة
- مقتنيات الدر وملتقطات الثمر ،مير سيد علي الحائري الطهراني ،دار الكتب الإسلامية ،طهران ، ط٣ ،١٣٩٧ه ق
- من هدى القرآن ،السيد محمد تقي المدرسي ،دار الهدى ،ط١ ، ١٤٠٦،ه ق
- الميزان في تفسير القرآن ،السيد محمد حسين الطباطبائي ،دار الكتب الإسلامية ،طهران ، ط٣، ١٣٩٧ ، ه ق